روسيا والإسلام السياسي
العلاقة مع حركة حماس نموذجاً

إعداد

وائل عبد الحميد المبحوح
باحث في دراسات الشرق الأوسط

أحمد فايق دلول
باحث في دراسات الشرق الأوسط

معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية

غزة ـ فلسطين
يناير ٢٠١٧

روسيا والإسلام السياسي

العلاقة مع حركة حماس نموذجاً

إعداد :

وائل عبد الحميد المبحوح

باحث في دراسات الشرق الأوسط

أحمد فايق دلول

باحث في دراسات الشرق الأوسط

2017م

الإطار العام

مع صعود (حركات الإسلام السياسي) في ثمانينيات القرن الماضي؛ شهدت المنطقة العديد من محاولات القوى العظمى للسيطرة على ذاك الصعود مستخدمين في ذلك سياسة القمع أحياناً أو سياسة الاحتواء أحياناً أخرى، ورغم فوز حركات الإسلام السياسي في المنطقة بغالبية الانتخابات الديمقراطية التي جرت في المنطقة – كما حدث في فلسطين وتونس ومصر والأردن– ومن قبل ذلك في المغرب وتركيا إلا أن هذا الأمر لم يكن يعني انتهاء المواجهة بين القوى العظمى والحركات الإسلامية، ولا انتهاء محاولات الاحتواء، إذ بقي الصراع ممتداً بين الطرفين، يحتدم تارة ويخبو تارة أخرى بحكم عوامل مختلفة لها ارتباطات بطبيعة المنطقة والتغيرات الحادثة فيها.

ومن هنا؛ فإن دراسة العلاقة بين الإسلام السياسي وروسيا (حركة حماس دراسة حالة) في هذه الآونة التي تشهد المنطقة العربية فيها تحولاتٍ سريعةً لمحاولة إعادة إنتاج النظم المستبدة السابقة وإزاحة الإسلام السياسي عن الحالة السياسية في تلك البلدان، تُعد أمراً مهماً لمعرفة مدى نضج العلاقة بين روسيا والإسلام السياسي في الفترة السابقة، وهل كانت تلك العلاقة مبنيةً على أسس صحيحة سياسياً وأيديولوجياً؟ أم أنها كانت سحابة صيف. وأداة روسية للضغط على الولايات المتحدة الامريكية والمجتمع الغربي بالتوجه إلى الشرق الأوسط وخاصة حركات الإسلام السياسي الذي يُعد العدو الأول لأمريكا وإسرائيل في المنطقة بحسب الكثير من المحللين السياسيين والمهتمين بدراسة العلاقة بين أمريكا والإسلام السياسي.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في "**البحث في علاقة روسيا (الشيوعية) بحركة المقاومة الإسلامية (حماس) كواحدة من حركات الإسلام السياسي**"، وعليه؛ يمكن صياغة المشكلة في التساؤل الرئيسي التالي: **إلى أين وصلت علاقة روسيا بحركة حماس؟**

ويتفرع من التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية:

1. ما طبيعة العلاقة بين روسيا الشيوعية وحماس الإسلامية؟
2. ما المحددات والدوافع التي قامت عليها العلاقة بين الطرفين؟
3. ما الرؤية المستقبلية للعلاقة بين الطرفين؟

أهداف الدراسة:

1. الإحاطة بطبيعة العلاقة بين روسيا وحماس
2. معرفة المحددات والدوافع الكامنة خلف إقامة العلاقات بين الطرفين
3. استشراف الرؤية المستقبلية للعلاقة بين الطرفين

أهمية الدراسة:

1. تنبع أهمية الدراسة من كونها تعالج حالةً مثيرةً من العلاقات بين الإسلام السياسي ونقيضه الفكر الشيوعي اللا–ديني، لما دار بين الطرفين من صراعات فكرية على مدار أعوام عديدة، فكيف يمكن أن تلتقي المصلحة بين الطرفين؟ وعلى أي أساس؟ وهل تبدو هذه العلاقة مرشحة للتطور والنمو والاستمرار، أم أنها علاقة مؤقتة تنتهي بانتهاء مسبباتها والحاجة إليها؟
2. قد تفيد الدراسة الباحثين المهتمين في مجال العلاقات الدولية
3. قد تفيد الدراسة الباحثين العاملين في مجال الإسلام السياسي.
4. قد تفيد الدراسة المراكز البحثية المهتمة بالعلاقات الدولية وتلك المهتمة بالإسلام السياسي.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحثان **المنهج التاريخي** للوقوف قليلاً على خلفية العلاقة بين الطرفين وموقعها، بجانب **المنهج الوصفي التحليلي** للوقوف على التطورات التي حدثت في العلاقة بين الطرفين وماذا حقق كل طرف من فوائد من خلال تلك العلاقة التي سادت بين الطرفين، كما اعتمد الباحثان في دراستهما على الأدبيات المنشورة حول الموضوع من كتب ودراسات وأبحاث ومقالات، بجانب إجراء حوارات ومقابلات مع القيادة السياسية لحركة حماس في قطاع غزة (مكان إقامة الباحثين)، من أجل الوقوف على آخر مستجدات وثمرات العلاقة بين الطرفين، وكيف تنظر حماس إلى روسيا ودورها في المنطقة في الوقت الراهن، وأكاديميين وكُتّاب وباحثين فلسطينيين ولم يتمكن الباحثان من الاتصال بمسؤولين روس عاملين في الأراضي الفلسطينية أو في موسكو أو باحثين في الشأن الروسي كما كان متوقعاً، وتمت مراسلة السفارة الروسية لدى السلطة الفلسطينية للإجابة على تساؤلات الدراسة غير أن الباحثين لم يتلقيا أية ردود بالخصوص، إضافة إلى عدم استلام الباحثين لإجابات السيد إسماعيل هنية نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس حول أسئلة الدراسة رغم إلحاحهما في الطلب.

حدود الدراسة:

تتمحور الحدود الزمانية للدراسة في الفترة 2006-2015، حيث بدأت بفوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية. أما الحدود المكانية فهمي مقيدة بروسيا وفلسطين.

مصطلحات الدراسة:

- **الإسلام السياسي:** هو مصطلح يُستخدم لوصف حركات تغيير سياسية تؤمن بالإسلام باعتباره "نظاماً سياسياً للحكم"، وهو مجموعة مترابطة من الأفكار والأهداف السياسية النابعة من الشريعة الإسلامية التي يستخدمها مجموعة "المسلمين الأصوليين" الذين يؤمنون بأن

الإسلام "ليس عبارة عن ديانة فحسب، وإنما النظام السياسي والاجتماعي والقانوني والاقتصادي، ويصلح لبناء مؤسسات دولة. [1]

- **روسيا:** تُعرف رسمياً باسم روسيا الاتحادية، وهي دولة تقع في شمال أوراسيا، ذات حكم جمهوري بنظام شبه رئاسي تضمُّ 83 كيانًا اتحاديًا، وهي أكبر بلد في العالم من حيث المساحة، حيث تغطي نسبة 1/8 من مساحة الأرض المأهولة بالسكان في العالم بمساحة تبلغ 17 مليون كم^2، كما أنها تاسع أكبر دولة من حيث عدد السكان في العالم بأكثر من 143 مليون نسمة. [2]
- **حركة المقاومة الإسلامية حماس:** هي حركة سياسية فلسطينية تستمد فكرها السياسي من الإسلام، لها جناحها المقاوم للاحتلال، كما لها أذرعها الأخرى، الاجتماعية والمؤسساتية والدعوية التي تخدم مجتمعة بعدها السياسي، وتؤسس لممارستها السياسية على أرض الواقع.

الدراسات السابقة:

- **دراسة: وسام أبي عيسى (2011) بعنوان: الموقف الروسي تجاه حركة حماس 2006-2010م**

يسلّط فيها الباحث الضوء على تطور علاقة روسيا بحركة حماس إثر فوزها في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 2006، وحتى نهاية سنة 2010، ويبين خلفيات ومحددات الموقف الروسي تجاه هذه العلاقة، وأهم المحطات التي مرّت بها، مبيناً أن روسيا لم تنعت حماس بالإرهاب، وتعاملت معها بانفتاح، كما أنها كانت تسعى لدفع حماس باتجاه المشاركة في مشروع التسوية وحل الدولتين.

- **دراسة: صادق الشيخ عيد (2013م): تطور العلاقات الدولية لحركة المقاومة الإسلامية – حماس (رسالة ماجستير)**

---

[1]- أحمد فايق دلول، **الإصلاح السياسي لدى حركة الإخوان المسلمين في مصر في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية (1971 – 2010)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر بغزة، 2012م، ص13.

[2]- راجع موقع فاكت بوك (https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/rs.html).

تتناول هذه الأطروحة تطورت العلاقات الخارجية لحركة حماس، وتتكون من ستة فصول، يتناول الفصل الخامس فيتطرق إلى العلاقات الأجنبية، ويتحدث عن العلاقات الحمساوية الروسية في المبحث الرابع، وتختتم الأطروحة بأهم النتائج والتوصيات، علماً بأن النتائج والتوصيات لم تتحدث بالمطلق عن علاقة حماس بروسيا.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحثين لم يعثرا على الكثير من الدراسات التي تحدثت عن علاقة حماس بروسيا، وإن كان هناك العديد من الدراسات التي ناقشت علاقة روسيا و(الاتحاد السوفيتي سابقاً) بالقضية الفلسطينية، بدءاً من اعتراف الاتحاد السوفيتي المبكر بـ (إسرائيل)، مروراً بتبدل الموقف والاتجاه إلى الدعوة إلى العثور على تسوية للقضية الفلسطينية من خلال احترام المصالح والحقوق الوطنية للأطراف المعنية، وصولاً إلى الاعتراف بالحقوق الثابتة والمشروعة للشعب الفلسطيني من دون أي التزام مباشر تجاه الفلسطينيين، ومن ثَمَّ تطور العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية بدعم واضح من الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر[3]، وتبقى أهم تلك الدراسات التي ناقشت العلاقة بين روسيا وحماس بشكل مباشر– وربما تكون الوحيدة على حد علم الباحثين– هي دراسة أبي عيسى سالفة الذكر.

أ. العلاقة بين روسيا وحماس: المحددات والدوافع

لم يكن يدور في خلد أكثر المتفائلين في حركة حماس أن تكون لها يوماً ما علاقات مع روسيا (أقوى إفرازات الاتحاد السوفيتي الذي دار بينه وبين القوى الإسلامية في أفغانستان والشيشان صراعٌ مريرٌ) لكن فوز حركة حماس الفلسطينية في الانتخابات التشريعية الثانية في يناير 2006م، ومحاولة روسيا استعادة أوضاعها السابقة في المنطقة شكَّل مدخلاً مهماً لنشأة علاقة بين الطرفين تقوم على حسابات خاصة لكليهما، فحماس من جهتها تحتاج إلى ظهيرٍ دوليٍ قويٍ ومناهض للولايات المتحدة الأمريكية تستند إليه في صراعها المرير مع الولايات المتحدة

[3]– بلال الشوبكي، "**سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية**"، مجلة دراسات شرق أوسطية، السنة 10، العدد 34–35، (شتاء وربيع 2006)، ص51. وانظر أيضاً: سنثيا انكليزس، "**مواقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير**"، مجلة شؤون فلسطينية، نيقوسيا، العدد 148–149، تموز/يوليو– آب/أغسطس 1985، ص 27، بتصرف.

الأمريكية التي بادرت بإعلان الحصار على حماس ولم تعترف بنتائج الانتخابات التشريعية التي فازت بها حماس الرافضة للاعتراف بشروط الرباعية الدولية التي كانت شرطاً لقبول حماس والتقرب منها، في المقابل كانت روسيا تسعى إلى تغيير صورتها لدى الإسلاميين من جهة وإيصال رسائل خاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ الخصم السياسي القديم الحديث للسياسة الروسية، حيث كانت القيادة الروسية استبقت فوز حماس في الانتخابات بزيارة تاريخية للرئيس فلاديمير بوتين في إبريل 2005 للأراضي الفلسطينية في محاولة منه للدخول على خط العملية السياسية الجارية بين الفلسطينيين وإسرائيل.

ثم جاء فوز حماس في الانتخابات التشريعية الثانية بنسبة (76 % من إجمالي المقاعد) ليشكل فرصةً جديدةً لموسكو لتبين من خلالها للعالم أن لها دوراً مستقلاً – بعيداً عن هيمنة الولايات المتحدة– تجاه القضايا الدولية، فما كان من الرئيس بوتين إلا أن وجه الدعوة لقيادة حركة حماس لزيارة موسكو في بداية آذار/مارس 2006، وهي الدعوة التي عرَّضت موسكو لاتهامات بأنها تتعامل مع منظمات إرهابية، الأمر الذي دفع موسكو لمواجهة تلك الاتهامات من خلال التأكيد على شرعية حركة حماس كممثلٍ منتخبٍ عن الشعب الفلسطيني، مستدركةً في الوقت نفسه بأنها ستتعامل مع حماس بوصفها– أي روسيا– جزءً من الرباعية الدولية وأنها ستنقل للحركة وجهة نظر الرباعية الدولية، وستدعوها إلى نبذ "العنف" والاعتراف بإسرائيل. [4] وما تلا ذلك من لقاء الرئيس الروسي "ديمتري ميدفيديف" و "خالد مشعل" رئيس المكتب السياسي لحماس في دمشق في أيار/مايو 2010م. [5]

[4]– بلال الشوبكي، مرجع سابق، ص51، بتصرف.

[5]– إبراهيم حميدي، **روسيا الموجودة دائماً تعود إلى الشرق الأوسط عبر سوريا**، الحياة السعودية، 2010/06/12

يؤكد (أشرف الفرا) أن دوافع روسيا من خلال إقامة علاقة مع حماس كانت تهدف إلى تحقيق ما يلي:[6]

– محاولة روسيا استعادة مواقعها الضائعة في منطقة الشرق الأوسط، ولعل روسيا تسعى في توطيد علاقاتها مع حماس إلى تدارك ما ضاع من سنوات تهميشها وفقدانها التأثير الدولي خاصة بعد انهيار الشيوعية.

– تنامي التوجهات الأساسية للقيادة الروسية فيما يتعلق بالعالم العربي، وإن كانت هذه التوجهات قد شهدت تفعيلاً واضحاً منذ وصول بوتين للسلطة، بعد الجمود الذي أصاب السياسة الروسية بصفة عامة وتجاه العالم العربي خاصة في أواخر عهد الرئيس الروسي السابق "بوريس يلتسين".

– أن الدعوة التي وجهتها روسيا لفصيل حماس تعكس بصورة كبرى رغبة بوتين في المساومة مع الغرب بتبني مواقف يتطلب التخلي عنها دفع الثمن في ملفات أخرى خاصة وأن روسيا ستتولى رئاسة مجموعة الثماني للدول الصناعية الكبرى.

– محاولة التأكيد على سياسة التقارب التي تنتهجها روسيا مع العالم الإسلامي في الفترة الأخيرة، وتحسين صورتها بعد الذي يجرى في الشيشان من مدخل التعامل مع حماس لأن حماس تتمتع تقريباً بصلات وسمعة طيبة مع معظم أنواع الطوائف في العالم الإسلامي.

– محاولة الإعادة إلى الأذهان ذكريات الحقبة السوفيتية حين استغلت موسكو دورها كراعٍ رئيسٍ لحركة فتح بزعامة الزعيم الفلسطيني الراحل "ياسر عرفات" في ذلك الوقت في مواجهاتها مع الولايات المتحدة إبان الحرب الباردة، ومن ثم فهي تحاول أن تستعيد نفس الدور ولو على المستوى الشكلي مع حماس بعد وصولها لسدة السلطة.

---

[6] – أشرف الفرا، مقالة بعنوان: العلاقة بين روسيا وحركة حماس، منشور على موقع دنيا الوطن بتاريخ 15/يونيو/ 2014، على الرابط التالي:
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/06/15/333092.html

– سعى روسيا من خلال دعوتها لحماس أن تتواجد بشكل أكبر في قضية الصراع العربي الإسرائيلي كمحاولة للتغلب على محاولات الإقصاء الأمريكي لدورها كعضو في اللجنة الرباعية التي تضم معهما الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي.

وطالما استندت العلاقات الدولية بمجملها على المصالح، والعلاقات الروسية (الحمساوية) تدخل في نفس السياق، فقد حاولت روسيا من خلال اتصالها بحماس من وجهة نظر بعض الباحثين، تحقيق جملة من المنافع:[7]

1– استعادة مجدها في منطقة الشرق الأوسط من خلال قناعتها المتمثلة بأهمية دور حركة حماس باستقرار إقليم الشرق الأوسط، مع الأخذ في الاعتبار أن غزة تمثل بوابة النظام الإقليمي الشرق الأوسطي ولا بد لأي دولة تسعى للحصول على دور إقليمي وريادي من المنطقة إلا أن تدخل من بوابة غزة، وهو ما يفسر تنافس عدة دول إقليمية على دعم غزة ومساندتها.

2– تحسين صورة روسيا أمام العالم الإسلامي، من خلال علاقتها بحركة إسلامية كبيرة تحوز على ثقة العالمين العربي والإسلامي وهي حركة حماس، مما قد يدفع المقاتلين العرب إلى العدول عن المشاركة في القتال ضد روسيا بالشيشان.

3– التلويح بورقة حماس أمام اللوبي اليهودي المسيطر على الاقتصاد الروسي والذي يعمل على إضعاف روسيا بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية.

4– الأزمة الاقتصادية العالمية وأزمة الرهن العقاري التي ضربت الولايات المتحدة بالتحديد، كانت تعزز فرص انتهاء نظام القطب الواحد لو استمرت، وعودة النظام الدولي إلى نظام متعدد الأقطاب.

5– دعم حماس لموقف روسيا في قضية الصراع مع جورجيا، واعتبار حماس قضية الشيشان مسألة روسية داخلية لا يجوز لأحد التدخل بها.

---

[7] - حسام الدجني، العلاقات الروسية–الحمساوية، دنيا الوطن، بتاريخ: 22/02/2009م. انظر الرابط التالي:
http://goo.gl/O5CzLA

ويرى (حسام الدجني) أن حركة حماس ومن منطلق إدارة الحكومة في الأراضي الفلسطينية في 2006-2007، فهي الأخرى تطلَّعت لتحقيق جملة من المنافع من بينها:[8]

1- اختراق الحصار الدولي المفروض على الشعب الفلسطيني بعد فوزها في الانتخابات التشريعية في يناير 2006م.

2- محاولة تحقيق رؤية حماس الاستراتيجية المتمثلة في ضرورة الانفتاح على العالم، وتوضيح طبيعة وأدوات الصراع للعالم.

3- باعتبار روسيا أحد أركان الرباعية الدولية، فمن خلال علاقات استراتيجية مع روسيا، يمكن أن تحدث اختراقاً في تليين شروط الرباعية الدولية المطلوبة من حركة حماس، وهي الشروط التي وُضِعَت لِتُرفض من جانب حماس.

4- الحصول على دعم سياسي واقتصادي ومالي مباشر، وعسكري غير مباشر من روسيا.

5- إيصال رسائل لمحور الاعتدال أن محور روسيا وإيران في المنطقة في تصاعد، وهو ما يستلزم منهم إعادة النظر في استراتيجيتهم تجاه حماس وحكومتها.

6- استفادت حركة حماس من علاقتها مع روسيا، من تعزيز علاقاتها مع حلفاء روسيا، في الكاريبي، وآسيا الوسطى، مما قد يساعد الحركة على الاختراق السياسي وتعزيز جبهة الممانعة الرافضة للاحتلال الإسرائيلي، وموقف فنزويلا وبوليفيا من الحرب على غزة (2008-2009) خير دليل

يؤكد (باسم نعيم) أهمية الخطوة التي حدثت تجاه روسيا بقوله : بالتأكيد فإن كل حركة تحرر وطني تسعى إلى تطوير علاقتها مع كل دول العالم وخاصة الكبرى، وروسيا من الدول المناصرة للقضية الفلسطينية على مدار العقود الماضية ولذلك حرصت حماس على فتح علاقات مبكراً مع روسيا لإحداث التوازن في ظل الانحياز الأمريكي الصارخ لصالح إسرائيل، وفي إطار ذلك

[8]- المرجع السابق، نفسه

حدثت العديد من اللقاءات بين القيادة الروسية وقيادة حركة حماس في السنوات الأخيرة. ورغم أن ما حققته الحركة من هذه العلاقة أقل مما تطمح اليه، لكنها حققت العديد من الإنجازات وأهمها، التوازن، ولو جزئياً في الموقف الدولي تجاه حماس والاعتراف بدورها في حل الصراع مع الاحتلال.[9]

وفيما يتعلق بروسيا فهو يرى: أما بالنسبة لروسيا فهي حريصة على علاقة جيدة مع حركة حماس كلاعب أساسي في الساحة الفلسطينية. وانطلاقاً من وزنها الدولي فإن روسيا معنية أن يكون بين يديها أوراق مهمة في منطقة تحاول مؤخراً الرجوع إليها، بعدما غادرتها إلى حد كبير بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.[10]

وينفي (أحمد يوسف) –حسبما يتوفر لديه من معلومات ووثائق– أن يكون قد تم طرح مسألة اعتراف حماس بإسرائيل على طاولة اجتماعات القيادة السياسية لحركته بالمسئولين الروس رغم المحاولات والمساعي الروسية للعب دور في حل الصراع العربي الإسرائيلي.[11]

وينقل (Stephen-j-Blank) عن نائب وزير الخارجية الروسي الأسبق "أندريه دينيسوف" في عام 2007م قوله: "الوحدة الوطنية في فلسطين تعتبر الوضع الأساسي الذي يؤدي الى إقامة دولة فلسطينية مستقلة"، لقد أعربت موسكو وبشكل دائم عن رغبتها في تحقيق الوحدة الفلسطينية وشعورها بالصدمة بسبب ما يحدث من صراعٍ داخليٍ بين السلطة الفلسطينية وحماس والذي يقضي على هذه الوحدة، ولذلك فإن روسيا تحث حماس وبشكلٍ ثابتٍ على دعم السلطة

[9]- باسم نعيم، وزير سابق في حكومة حماس ومستشار رئيس الوزراء الفلسطيني السابق إسماعيل هنية للشؤون الخارجية، ومسؤول العلاقات الخارجية بالحركة، (مقابلة شخصية)، غزة، فلسطين، 22 نيسان/ أبريل 2015م

[10]- المرجع السابق، نفسه

[11]– أحمد يوسف؛ المستشار السياسي لرئيس الحكومة الفلسطينية العاشرة السيد إسماعيل هنية، ووكيل وزارة الشئون الخارجية في حكومة غزة 2008–2010م، (مقابلة شخصية)، غزة، فلسطين، 15نيسان/أبريل 2015م.

الفلسطينية حتى أنها تتعامل بانفتاح مع حماس بينما تدعم المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية وتؤيد مشاركة كل من السلطة الفلسطينية وحماس في المفاوضات مع إسرائيل". [12]

وبالرغم من ذلك وأثناء تحقيقها لهذا الهدف فإن على روسيا أيضا أن تدعم فكرة أن حماس ليست منظمة إرهابية وأن تتجاهل الحقيقة في ذلك. ومنذ عام 2006 وذلك عندما قام الرئيس بوتين بدعوة قادة حماس الى موسكو بعد فوزهم في الانتخابات فإن السلطات الروسية كانت تحاول ظاهرياً أن تقنع حماس بترك الأعمال "الإرهابية" والاعتراف بإسرائيل، وأن تلتزم بجميع الاتفاقات الإسرائيلية الفلسطينية السابقة، ومع ذلك فإنهم لم يفرضوا أي شروط على الزيارة وكان يبدو عليهم أنهم غير منزعجين بحقيقة أن حماس تواصل التعبير عن رغبتها في تدمير إسرائيل. [13]

لكن من وجهة النظر الصهيونية يبدو أمر تدخل روسيا في الشأن الفلسطيني على هذه الصورة كما يرى (تسفي ماغين[14] وآخرون): على مدار السنين كان يبدو أن روسيا تكتفي بالاشتراك في العملية السلمية بين اسرائيل والفلسطينيين من خلال اللجنة الرباعية، وذلك انطلاقا من طبيعة انتمائها لهذه الهيئة الذي يضعها في موقف متعادل مع الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي، ولكن، قدرة روسيا على المساعدة بشكل عملي لتقديم حل، سواء في المجال السياسي أو بالدعم المالي، هو محصور قياساً للولايات المتحدة وأوروبا.[15]

ويؤكد (ماغين وآخرون) أنه: في الفترة الأخيرة نشأ انطباع أن روسيا تنتهز الفرصة للعب دور أكثر فعالية مما في الماضي في هذه العملية السلمية، كجزء من الجهد لتحقيق مصالحها الجيوسياسية في المنطقة، فمن وجهة نظر موسكو، أن بوسعها تحقيق تقدم في الحوار بين

---

[12]– Stephen J. Blank, Russian Strategy and Policy in the Middle East, Israel journal of Foreign Affairs 8: 2 (2014), p9-23.

[13]– المرجع نفسه.

[14] - السفير الإسرائيلي السابق في موسكو، و رئيس وحدة الدراسات الروسية في معهد أبحاث الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب.

[15] – تسفي ماغين وآخرون، مقالة بعنوان: مبادرة روسية، كانت موسكو تكتفي بالاشتراك في العملية السلمية من خلال اللجنة الرباعية فقط، منشور على موقع القدس العربي بتاريخ 22/ إبريل/ 2015، على الرابط التالي: https://www.alquds.co.uk/?p=330653

الإسرائيليين والفلسطينيين المرتكز على علاقاتها الجيدة مع الطرفين، كما ترى ذلك موسكو، فإن العلاقات بين إسرائيل والإدارة الأميركية أصابها نوع من البرود، من جهة، فإن هذه التطورات من شأنها أن تجعل من الصعب تجديد المفاوضات، ومن جهة أخرى، فإنها تفتح مدخلاً لتأثير روسيا المتزايد والبارز على العملية، ولهذا السبب، كيف يمكن أن نخرج من الحسبان محاولة روسيا النشطة لتحريك المفاوضات مجدداً بين إسرائيل والفلسطينيين، حيث يبدو أن خطوة زيارة بوتين لإسرائيل والسلطة الفلسطينية ستتجدد قريباً، كما من الممكن أيضاً أنه عندها سيتم عرض مبادرة روسية لتجديد المفاوضات نحو التسوية بين الطرفين.[16]

لقد أقر بوتين مبكراً أن روسيا لا تعتبر حماس منظمةً إرهابيةً، وعليه لم تُدرج ضمن قائمة المنظمات الإرهابية، هذا التأكيد على الجمع بين حماس والسلطة الفلسطينية مازال مستمراً، ليصبح نقطة أساسية وجوهرية في الدبلوماسية الروسية، وبالتالي لا شيء غيّر من رؤية حماس وطريقة عملها. [17]

ويرى (يوسف) أن حكومته كانت ترجو أن تشكل هذه الزيارة مدخلاً للشرعية في ضوء مقاطعة الأوربيين والأمريكان [18] فيما يؤكد (عبد الستار قاسم) أنه لا يمكن قراءة الخطوة الروسية المتمثلة في دعوة الرئيس الروسي بوتين لوفد من قيادة حماس لزيارة موسكو إلا كونها ضمن التوجه البراغماتي للقيادة الروسية، إذ إن البُعد الآخر للدعوة الروسية هو مدى إمكانية توظيف هذه العلاقة في الصراع الروسي– الشيشاني، وما يمكن أن تقدمه حماس في هذا السياق، فروسيا تريد رفع مستوى العلاقات مع المسلمين إجمالاً، لما في ذلك من تأثير على المسلمين في المناطق الروسية الجنوبية. [19]

---

[16] المرجع السابق، نفسه

[17]– Stephen J. Blank، مرجع سابق

[18]– أحمد يوسف، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

[19]– عبد الستار قاسم، **سياسة روسيا في المنطقة العربية والإسلامية**، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/8/5، انظر الرابط التالي: http://www.wata.cc/forums/showthread.php?54366

ولا يختلف الموقف السابق عمَّا يذكره (يوسف)، إذ اعتبر أن "الروس كانوا يعتقدون أن حماس يمكن أن تخدمهم في موضوع الشيشان والعلاقة بالعالم العربي والإسلامي"، ويضيف أن الهدف من وراء زيارة مسئولين سياسيين وإعلاميين روس لخالد مشعل في سوريا لا يخرج عن "محاولات استطلاع الدور الذي يمكن أن تلعبه حماس في تخفيف الاحتقان مع العالم الإسلامي بسبب قضية الشيشان، ربما يكون الدافع لدعوة قيادة الحركة أن تأتي إلى موسكو وتلتقي القيادة الروسية أن نعطي هذا الانتباه للعالم الإسلامي أننا لسنا ضد الإسلاميين ولدينا إشكالية ممكن أن تعينوننا فيها كإسلاميين من أجل حلها والخروج منها. [20]

وفيما يتعلق بالمحددات، يشير (وسام أبي عيسى) أن "فلاديمير بوتين" استلم روسيا وهي في حالة انتقالية غير مستقرة تماماً، وهو ما تطلب منه التزام خطٍ وطنيٍ صارمٍ بغرض إصلاح الأوضاع، وتدارك الثغرات السابقة من حكم سلفه "يلتسين"، عبر تكوين إدارة قوية للحكم، مستنداً إلى رؤيته السياسية الخاصة والتي كان من أبرز توجهاتها: [21]

1. الحفاظ على الأمن القومي ووحدة الأراضي الروسية من التهديدات الداخلية والخارجية.
2. الدفاع عن المصالح القومية الروسية.
3. تطوير العلاقات مع الدول المشاركة في رابطة الدول المستقلة.
4. التركيز على تفعيل دور الأمم المتحدة لحل الأزمات الدولية، انطلاقاً من إيمان بوتين بفكرة الجهود الجماعية لنزع فتيل النزاعات في كل مناطق العالم المتأزمة.
5. إقامة علاقات دولية على أسس مصلحية، وهو أمر يدل على الخط الدبلوماسي الجديد الذي انتهجته روسيا في عصر العولمة وحرية الأسواق.
6. إقرار السلام العالمي وتجنب النزاعات العسكرية، والتأكيد على مبدأ التعاون والصداقة مع شعوب ودول العالم كافة.
7. الدعوة إلى إقامة عالم متعدد الأقطاب، والرفض الحازم لعالم يحكمه قطب واحد.

---

[20]– أحمد يوسف، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

[21]– وسام أبي عيسى، **الموقف الروسي تجاه حركة حماس 2006–2010**، تحرير، محسن صالح، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ص 17–18.

وانطلاقاً من السياسة الجديدة التي وضعها بوتين لروسيا؛ تحاول روسيا الاقتراب أكثر من المنطقة العربية الإسلامية (وحماس أحد الفواعل المهمة في المنطقة) بهدف إقامة نفوذٍ لها يخدم مصالحها، وهذا ما جعلها تمارس سياسة توازن بين متخاصمين، فتحاول أن تقول إنها صديقة للجميع، وإن الأيديولوجيا لم يعد لها ذات الأهمية في سياستها الخارجية، وهي تحاول بنعومةٍ الدخول إلى المنطقة كشريكٍ له مصالح اقتصادية وليس كبديلٍ للولايات المتحدة، وهو ما يجعل روسيا تسير في المنطقة على خيطٍ رخوٍ، ولا تُمكنها من إتمام تحالفٍ ما مع أي من الأطراف، وهو ما يجعل السياسة الروسية في المنطقة تسلك مواقف متعارضة في الملف الواحد؛ فبالرغم من العلاقات الوطيدة التي تربط روسيا بـ (إسرائيل)، فإن الرئيس الروسي بوتين أبدى دعماً لحماس واستقبل بعض مسؤوليها في آذار/مارس 2006. [22]

في حين يرى (بلال الشوبكي): أنَّ أهم ما يمكن الإشارة إليه حول زيارة مشعل إلى روسيا عام 2006، هو الرسالة القوية التي وجهتها حماس إلى عناصر المجتمع الدولي، حيث أرادت القول بكل وضوح: أن عدم التعامل مع حماس لا يعني انقطاعها عن العالم وعزلتها، فهناك قوى دولية ترحب بحماس كطرف سياسي له وزنه وثقله في المنطقة، كما هو الحال على الصعيد الإقليمي من خلال علاقة حماس بالعديد من الأطراف أهمها إيران. إلا أن المربك حينها وربما حتى اللحظة، أن المتحكم في صيغة العلاقة هو الطرف الروسي وقد كان واضحاً أن موسكو تستخدم حماس لمناكفة المعسكر الغربي بقيادة أميركا وما زالت [23]، وهو ما يؤكده أيضاً (قاسم) بالقول: "في سعيها لإقامة نفوذ في المنطقة العربية الإسلامية، تأخذ السياسة الروسية في الحسبان عدداً من العناصر المهمة، وهي عناصر قد تكون متناقضة أحياناً ويصعب التوفيق فيما بينها"، ويذكر قاسم من بينها: "ما هو موقف روسيا مما يسمى الإرهاب الإسلامي والتنظيمات الإسلامية المتهمة بالإرهاب، علماً أن هذه التنظيمات تحظى بشعبية كبيرة في المنطقة؟ روسيا تقف ضد مقاومة الشيشان وتصفها بالإرهاب، وهي ترغب في الحصول على تأييد أهل الغرب وإسرائيل في

---

[22]- المرجع نفسه، ص 19-20.

[23]- بلال الشوبكي؛ أستاذ العلوم السياسية في جامعة الخليل والباحث المختص في الشئون الدولية وشئون الحركات الإسلامية، (مقابلة شخصية)، الخليل، فلسطين، بتاريخ 14 آذار/مارس 2015م.

حربها على المقاومين الشيشانيين، فهل ستؤيد المقاومة الفلسطينية واللبنانية وتغامر بعدم تأييد الولايات المتحدة لها في الشيشان، وهل ستؤيد حماس وحزب الله اللذين لهما مواقف متعاطفة مع الشيشان؟ إن أيدت خسرت من ناحية، وإن لم تؤيد خسرت من ناحية أخرى. فما العمل؟ هناك حيرة كبيرة. ثم ماذا تصنع مع إسرائيل التي أيدت موسكو في حربها ضد الشيشان، ووقفت ضد الجماعات الإسلامية التي قررت المساهمة في الجهد الحربي ضد موسكو؟ هل تقف مع إسرائيل وتستثير الفئات الإسلامية مما يعني المزيد من القلاقل في عدد من المناطق الإسلامية في الاتحاد الروسي؟ [24]

وكان من الواضح –حسبما يذكر (Stephen-j-Blank)– أن هناك جماعات في روسيا ترغب في تقديم الدعم لحماس إن استطاعت. وفي عام 2006 إلى 2007 صرَّح رئيس الأركان الروسي بالوفيسكي بأن روسيا ربما تفكر ببيع الأسلحة الى حماس وقام وزير الدفاع الروسي آنذاك سيرجي إيفانوف بتصحيح ذلك حيث قال بأن روسيا سوف تقوم بذلك فقط عندما توافق إسرائيل على ذلك. [25]

ويرى (إبراهيم أبراش) فيما يتعلق بنشأة العلاقة بين الطرفين، أن "كون حركة حماس مستجدة على الساحة الفلسطينية والدولية فإن أية علاقة تنسجها مع العالم الخارجي يشكِّل مكسباً بالنسبة لها، وقبل انهيار المعسكر الاشتراكي 1991 كان من الصعب إقامة علاقة بين الطرفين لاعتبارات ايديولوجية ، ولكن بعد ذلك أصبحت روسيا معنيةً بالانفتاح على كل دول العالم وخصوصاً على الدول والحركات في العالم العربي، وفي بداية هذا الانفتاح كانت العلاقة مع حماس حذرة ولكن بعد فوزها في الانتخابات التشريعية 2006 بدأت روسيا تسعى للتواصل معها، وبالفعل زارت وفود مهمة من حماس موسكو. [26]

---

[24]– عبدالستار قاسم، مرجع سابق.

[25] –Stephen J. Blank, p16.

[26]– إبراهيم أبراش؛ وزير الثقافة في حكومة سلام فياض 2007، وأستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر بغزة، (مقابلة شخصية)، غزة، فلسطين، 18 آذار/مارس 2015م.

في حين يرى (أسامة أبو نحل) أن "حركة حماس لم تحقق بعد الحراكات الشعبية العربية أي نتيجة تُذكر في سياستها تجاه روسيا، نظراً لتباين مواقف الطرفين حول مجريات الأحداث في الساحة العربية منذ انطلاق هذه الحراكات؛ فروسيا كدولةٍ عُظمى لها مصالحها في المنطقة، وتعمل بقوة للحفاظ عليها؛ لذلك فبعد تنحي الرئيس حسني مبارك عن حكم مصر، اضطرت للتعامل بحذر مع إدارة الرئيس الإخواني محمد مُرسي، بل واستقبلته في موسكو، وكانت تهدف لبناء علاقة مميزة مع مصر لكي تبعدها عن المحور الأمريكي في المنطقة، غير أن توجهات الرئيس مُرسي تجاه الحراك والأحداث في سوريا منذ شهر آذار/مارس 2011م، ودعمه المطلق للمعارضة السورية منذ توليه الحكم في منتصف عام 2012م، جعلت روسيا تتوجس خيفة من الدعم المصري لهذه المعارضة، التي كانت تعتمد في بداياتها على الإخوان المسلمين السوريين". ويستطرد أبو نحل أنه "كان لقرار المؤسسة العسكرية المصرية في 3 تموز/يوليو 2013م، الإطاحة بحكم الرئيس مُرسي صدىً ايجابياً لدى روسيا، فأيدت تلك الخطوة بقوة. وعليه؛ انعكس هذا الموقف الروسي من الإطاحة بحكم مُرسي، والتخلص من حكم جماعة الإخوان المسلمين في مصر على علاقتها بحركة حماس التي اتخذت موقفاً معادياً للنظام السوري في ظل ارتمائها بأحضان المعسكر القطري التركي المصري وقتذاك تحت حكم مُرسي، ومن ثمَّ واجهت حماس في علاقتها مع روسيا حالة من البرودة الشديدة، ولم تعد روسيا تدعم حركة حماس سياسياً على الأقل حتى يومنا هذا". [27]

وفي سياق الحديث حول أقصى ما حققته حماس من علاقتها بروسيا، اعتبر (الشوبكي) أنه مجرد كسر إعلامي للصورة النمطية عن حماس، هذا ربما أقصى ما حققته حماس من العلاقة بروسيا، إذ إن استقبال مشعل بشكل رسمي في الدوائر الحكومية الروسية، أزاح عن قيادة حماس القناع الذي ألبسته وسائل الاعلام الغربية لها، بحيث صورتهم كمجموعة من الإرهابيين المتشددين الذين لا يتعاملون بلغة السياسية. إضافة لذلك فقد تم كسر الحصار السياسي بشكل

[27]– أسامة أبو نحل؛ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الأزهر بغزة، مقابلة شخصية، غزة، فلسطين، بتاريخ 18 آذار/مارس 2015م.

صريح وصارخ وهو ما يعني القدرة على المناورة من خلال استثمار الخصومات الدولية والإقليمية.[28]

يؤكد (قاسم) بهذا الخصوص : "أن روسيا ليست مهتمة كثيراً بالعلاقات مع حماس خاصة أن حماس لا تقبل الترتيبات الأمريكية للعلاقة بين إسرائيل والفلسطينيين، ومن المعروف أن دور روسيا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ينحصر في تأييد الخطوات الأمريكية، فروسيا تؤيد وجود إسرائيل وهي تعارض أي توجه ضد هذا الوجود، وربما هي مستعدة للدفاع عن وجود إسرائيل، ولو كانت حماس معترفة بإسرائيل وتقبل جهاراً نهاراً باتفاق أوسلو وما تمخض عنه لأقامت روسيا معها علاقات جيدة.[29]

صحيحٌ أن روسيا لا تعتبر حماس منظمة إرهابية؛ وعليه لم تدرجها ضمن قائمة المنظمات الإرهابية، ولكن، ووفقاً للسيناتور المؤثر ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الفيدرالي "ميكائيل مارجيلوف" فإنَّ فكرة أن روسيا تتمتع بعلاقات جيدة مع حماس هي مجرد وهم. [30]

وهو ما يذهب إليه (ماغين وآخرون) بالقول: إن روسيا تدعم الفلسطينيين بشكل دائم على الساحة الدولية، بما في ذلك تصويتها في هيئة الأمم المتحدة حول الموضوع الفلسطيني، والى جانب ذلك، نشأ -بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والتحسن الملموس في علاقات روسيا مع إسرائيل- اتجاه للتوازن بين إسرائيل والفلسطينيين في السياسة الخارجية الروسية، هذا التحسن وجد تعبيره، على سبيل المثال، بالحياد الذي حافظت عليه روسيا وإسرائيل على التوالي، فيما يتعلق بالمعركة بين إسرائيل وحماس في صيف 2014، وبالنسبة للأزمة في أوكرانيا.[31]

---

[28]– بلال الشوبكي، مقابلة شخصية، مرجع سابق

[29]- عبد الستار قاسم؛ أستاذ العلوم السياسية بجامعة النجاح الوطنية بنابلس، (مقابلة عبر البريد الإلكتروني)، نابلس، 2015/04/12

[30] –Stephen J. Blank, p16-17.

[31] - ماغين وآخرون، مرجع سابق

ولعل هذا ما يؤكده (أبراش)، حيث يرى أن العلاقة بين الطرفين تأثرت سلباً لأن روسيا تعطي الأولوية لعلاقاتها مع الدول على علاقاتها مع الحركات والأحزاب، وبالتالي كانت العلاقة مقبولةً عندما كانت علاقة حركة حماس جيدة أو مقبولة مع سوريا ومصر، ولكن مع توتر العلاقة بين حماس والنظامين المصري والسوري، أصبحت علاقة موسكو مع حماس حذرة، بل إنها تراجعت، وخصوصاً أن جزءً كبيراً من التواصل واللقاءات بين الطرفين كان يجري في العاصمة السورية، لكن هذه القناة توقفت. [32]

فيما يؤكد (نعيم) أن العلاقات الروسية – الحمساوية تأثرت سلباً بالأحداث في سوريا وتمر بمرحلة فتور، ولكن الطرفين حريصان على عدم انقطاع العلاقة والفصل بين الملفات المختلفة.[33] ويكشف (نعيم) وهو رئيس مجلس العلاقات الدولية بالحركة عن اتصالات جرت مؤخرا لمحاولة استعادة الدفء في العلاقة بين الطرفين.[34]

ولم تختلف المواقف السابقة عمَّا ذكره (أبو نحل)، حيث يرى أن "علاقة روسيا بحركة حماس تمر الآن بمرحلة برودة سياسية بعد الموقف الحمساوي من الأحداث السورية، وبكل تأكيد فإن علاقة روسيا المتميزة مع النظام السوري من جهة، والتقارب الروسي مع النظام الجديد في مصر من جهةٍ أخرى، يلقي بظلاله على علاقة روسيا بحماس، بحيث لم تعد الأخيرة تحظى باهتمامات السياسة الروسية، ولا بدعمها السياسي خاصة وأن روسيا تربطها حالياً علاقات وثيقة بالسلطة الفلسطينية غريم حركة حماس.[35]

وأما (قاسم) فيرى أن روسيا ليست متحمسة لإقامة علاقات متينة مع حماس إلا بالقدر الذي يمكن أن تساعد فيه حماس على تهدئة الأوضاع في الجنوب الروسي، حيث تتخوف روسيا من أعمال عسكرية وإرهابية يمكن أن تشنها فئات إسلامية على أهداف روسية أو على المدنيين الروس وذلك بسبب التحريض ضد روسيا الذي يتغلغل في صفوف المسلمين في الجنوب

---

[32]- إبراهيم أبراش، مقابلة شخصية، مرجع سابق

[33] – باسم نعيم، مقابلة شخصية، مرجع سابق

[34] – المرجع السابق، نفسه

[35]– أسامة أبو نحل، مقابلة شخصية، مرجع سابق

الروسي، ولهذا تحاول روسيا دائما إقامة علاقات مع دول عربية وإسلامية ومع فئات إسلامية من أجل تخفيف الوطأة أو إعطاء انطبع للمسلمين الروس بأن روسيا ليست دولة معادية للإسلام. [36]

ويؤكد (قاسم) أن الروس حذرون من حماس لأنهم يعتبرون مواقفها ضد النظام السوري وضد الانقلابيين في مصر مواقف متشنجة ومتسرعة وتتم عن تعصب حزبي. فإذا كانت حماس قد طعنت من انتصر لها أي النظام السوري وذلك وفق الروس فهل يمكن الاطمئنان لأقوالها أو سياساتها؟ الروس لا يثقون بحماس في اللحظة الراهنة، وهم ينتظرون استقرار الأوضاع في الساحة العربية الإسلامية.[37]

هذا يعني– كما يرى الباحثان– أن روسيا بحكم موقعها الدولي كدولةٍ عظمى، لم تعد بحاجة لعلاقاتٍ متميزةٍ مع حماس، بعدما تخلت الأخيرة عن النظام السوري الحليف القوي لروسيا في المنطقة، فتحسُّنُ علاقات روسيا مع النظام المصري الجديد بعد الإطاحة بالرئيس محمد مرسي، من جهة، وتوترُ علاقاتها بقطر وتركيا بسبب الأحداث السورية، وتقاربُ حماس الشديد مع هاتين الدولتين، أقنع الروس بأنه لا يمكن التعويل على حماس في خدمة مشروعها ومصالحها في المنطقة، وعليه فإن العلاقة بين الطرفين لم تتجاوز بأي شكل من الأشكال حداً غير مسموح به، وبقيت تراوح مكانها في حدود المصلحة المرجوة لكلا الطرفين– ولو في حدها الأدنى– ليس إلا.

ب. آفاق مستقبلية

بالرغم من توقف الاتصالات المباشرة بين الجانبين في الآونة الأخيرة وعلى خلفية التوترات الإقليمية الحادثة في المنطقة، فإن ذلك لا يمنع من الحديث عن آفاق ومستقبل العلاقة بين الطرفين، في ظل تسارع الأحداث في الإقليم، وفي ظل التغيرات والتبديلات الحادثة في المواقف والمواقع، وحالة الاصطفاف الحادثة في المنطقة خاصة في ظل التطورات الأخيرة في منطقة الخليج العربي بشكل عام وفي اليمن بشكل خاص.

---

[36] عبد الستار قاسم، مقابلة عبر البريد الإلكتروني، مرجع سابق

[37] المرجع السابق نفسه

بهذا الخصوص، لم يبدِ (يوسف) أيّ تفاؤلٍ في تحسن العلاقة بين الجانبين في المستقبل القريب، ويبرر ذلك بأن "روسيا الآن مشغولة بأوكرانيا وبعلاقاتها مع الأوروبيين وبالتالي أي اقتراب من الإسلاميين في هذه المرحلة يكون مدخلاً وذريعةً للآخرين لاتهامها بأنها تدعم التطرف والإرهاب في المنطقة"، هذا في ضوء موجة التطرف التي تقودها جماعات إسلامية في المنطقة، وهو ما يجعل الغرب ينظر إلى روسيا على أنها داعم للتطرف في حال استمرت علاقتها بحماس.[38]

وعلى الجانب الآخر فهو يرى أن حماس فقدت علاقاتها بسوريا ومصر وغيرها، وما زالت تحالفاتها في المنطقة مرتبطة بتركيا وبقطر. ولذلك فالعلاقة بين الطرفين "تعيش حالة من السكون والمراوحة في المكان.[39]

ويرى (نعيم) أنه في ظل توقع استمرار الانحياز الأمريكي لصالح إسرائيل، وحرص حركة حماس على توسيع دائرة الأنصار للقضية، فإنها ستحرص على استمرار العلاقة وتطويرها على اكثر من مستوى، وأما روسيا فإنها تدرك جيداً قوة حركة حماس على الساحة الفلسطينية، وأنها حركة شابة وتحجز مقعداً متقدما في مستقبل القضية، وأن أي حل للصراع يحتاج لمشاركة وموافقة حماس، ولذلك ستحرص روسيا على تطوير علاقتها مع حماس وتقويتها، وخاصة في ظل التنافس الامريكي الروسي في المنطقة.[40]

أما (أبراش) فيرى أن الأمر مرتبطٌ بتطور علاقات حماس بالدول العربية، وكلما تدهورت علاقة حماس والإخوان المسلمين مع الدول العربية وخصوصا الكبرى منها كلما تراجعت علاقة حماس بموسكو، والأمر مرتبط بالوضع الفلسطيني الداخلي، حيث ما زالت موسكو تعتبر منظمة التحرير الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وستظل علاقة موسكو بحماس بالدرجة الثانية.[41]

---

[38]- أحمد يوسف، مقابلة شخصية، مرجع سابق

[39]– المرجع السابق

[40] - باسم نعيم، مقابلة شخصية، مرجع سابق

[41]– إبراهيم أبراش، مقابلة شخصية، مرجع سابق

ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لـ (أبي نحل) عمَّا طرحه (أبراش)، حيث يرى الأول أن "علم السياسة لا يعرف ثابتاً في المواقف بين الدول أو بين الدول والتنظيمات السياسية، لكن؛ في حالة حدوث انفراجة واسعة في العلاقات الحمساوية الإيرانية تحديداً، وتخلِّي حماس عن دعم المعارضة السورية سياسياً فإن علاقة روسيا بحماس ستشهد تقارباً ما، لكن هذا كله متوقف على الحراك السياسي الذي تشهده منطقة الشرق الأوسط الآن، من بروز محاور سياسية مختلفة عن المحاور السابقة. فإذا حدث تقاربٌ سعوديٌ قطريٌ تركيٌ كمحورٍ جديد، فقد تنضم إليه حركة حماس، وذلك مقابل محور آخر قد يشمل مصر وإيران وسوريا؛ ففي هذه الحالة ستدعم روسيا المحور الأخير، وفي هذه الحالة وفي حال انضمام حماس للمحور الأول، ستكون (حماس) قد أخطأت مرة أخرى بابتعادها عن الحاضنة التي تدعمها عسكرياً وهي إيران، وبذلك ستفقد حماس علاقتها بروسيا نهائياً"[42].

وأما (قاسم) فيرى أنه من الصعب أن نقول أن هناك مجالاً رحباً لعلاقات طيبة بين روسيا وحماس مستقبلاً بسبب ضعف ثقة الروس بحماس التي تولدت بسبب مواقفها السياسية، كما أن حماس ستستمر في البحث عن علاقات مع أمريكا والاتحاد الأوروبي، عساها تحصل على اعتراف، فحماس تفضل الحصول على اعتراف أهل الغرب بها، ولا تكترث كثيراً بالاعتراف الروسي لأن تأثير روسيا على الساحة الدولية ضعيف، في المقابل فإن روسيا يمكن أن تتحمس أكثر لعلاقات مع حماس فيما إذا حصلت انتخابات فلسطينية جديدة وحصلت فيها حماس على أغلبية.[43]

في حين يبدو (الشوبكي) مختلفاً في طرحه عمَّا سبق، حيث يقول: "رغم أن المشهد الآن تغيّر برمته بعد الأزمة السورية، إلا أنه يمكن لموسكو تجاهل كل ذلك إن أرادت فتح قناة مع حماس،

---

[42]– أسامة أبو نحل، مقابلة شخصية، مرجع سابق

[43]– عبد الستار قاسم، مقابلة عبر البريد الإلكتروني، مرجع سابق

لكن أظن أن الأخيرة غير معنية الآن بمثل هذه القناة في ظل توفر قنوات أكثر أهمية كتركيا وقطر وربما السعودية الآن". [44]

ويرى (الفرا) أن مستقبل العلاقة بين روسيا وحركة حماس يتوقف على محورين رئيسيين:

– براجماتية حركة حماس: حيث ترغب روسيا في أن تكون لاعبا رئيسا في عملية السلام في الشرق الأوسط، لذا ترغب من خلال علاقات مع حماس، إلى تطويع الأخيرة للاندماج في عملية سلام تنهي الصراع، لذل تتوقف العلاقة بين الطرفين عند براجماتية حركة حماس في الأمور السياسية.

– العلاقات الروسية الإسرائيلية: حيث ستكون العلاقة بين الطرفين عكسية بمعنى كلما زادت مستوى العلاقات الإسرائيلية الروسية ستكون على حساب مستوى العلاقة بين روسيا وحركة حماس والعكس صحيح.[45].

[44]- بلال الشوبكي، مقابلة عبر البريد الإلكتروني، مرجع سابق
[45]– المرجع السابق

الخلاصة:

بالنظر إلى ما سبق فإن كلا الطرفين سعى من خلال علاقته مع الطرف الآخر لتحقيق جملة من المصالح استناداً إلى محددات ورؤى خاصة به، وقد أديرت تلك العلاقة بالنظر إلى ذلك، ولا يمكن هنا قياس مدى نجاح أي من روسيا أو حماس في تحقيق ما سعت إليه، ولكن في المجمل، فإن كلا الطرفين حققا على الأقل جزءاً من تطلعاتهما وأهدافهما، في تلك الفترة التي سبقت ما سمي بالربيع العربي، حيث تمكنت حماس من إحداث اختراق مهم- وإن كان لم يحقق الحد المأمول للحركة- للرباعية الدولية التي فرضت شروطها على الحركة من أجل التعامل معها على اعتبار أن روسيا أحد أضلاع تلك الرباعية، كما تمكنت روسيا من التغريد خارج سرب الولايات المتحدة أو على الأقل توجيه رسالة مهمة لها بأنها قادرة على التغريد بهذه الطريقة متى شاءت.

يمكن القول هنا أن روسيا التي تعتمد البراغماتية في بناء علاقاتها، كانت تحاول أن تبقى على علاقة مع جميع الفرقاء في المنطقة، بمن فيهم إسرائيل التي تربطها بروسيا علاقات تجارية مميزة بالإضافة إلى علاقة نامية في مجال التكنولوجيا العسكرية.

في المقابل فإن حماس من جانبها، كانت ترى في تطور علاقتها مع روسيا كسراً لجدار العزلة الدولية والدبلوماسية التي حاولت الولايات المتحدة فرضه على الحركة، بمساعدة ما يسمى بدول الاعتدال العربي، إضافة إلى سعيها من أجل نفي صفة الإرهاب عنها.

كما كانت الحركة تأمل من تطور علاقتها بروسيا في تلك الفترة، أن يشجع ذلك دول الاتحاد الأوروبي في الخروج عن النص الأمريكي، لكسر حاجز الخزف أو الخجل في بناء علاقات معها، كما كانت تأمل في إقناع روسيا ومن خلفها المجتمع الدولي برؤيتها للمفاوضات مع إسرائيل والتي تتمثل في قبول حماس دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران / يونيو 1967 وعاصمتها القدس، مع الاحتفاظ بحق العودة، وإزالة كافة المستوطنات في الضفة الغربية، مقابل هدنة مع إسرائيل من دون أن تعترف بوجودها، وهو ربما ما فهمت الحركة مؤخراً

بصعوبة تمرير مثل هذه الرؤية على روسيا أو على المجتمع الدولي بشكل عام، الذي يطالب عادة بإنهاء الصراع وتوقيع اتفاقيات دائمة للحل في المنطقة.

بيد أن التغيرات التي طرأت على المنطقة بدءاً من ديسمبر 2010 والتحولات في المواقف والتحالفات وخاصة في ما يتعلق بحركة حماس وتحديداً بشأن العلاقة مع سوريا من جهة، وتوتر العلاقة مع المملكة العربية السعودية وحالة العداء التي آلت إليها العلاقة مع مصر أدت إلى توقف مفاجئ للعلاقة مع روسيا، وهو ما أفقد حماس ورقة دولية عظمى في طريق إحداث اختراق للمجتمع الدولي لإجباره على التعامل مع الحركة بوصفها حركة شرعية مارست السياسة في إطارها القانوني وحازت ثقة شعبها.

هذا يعني من وجهة نظر الباحثين أن عودة العلاقات من جديد بين الطرفين ليس بأمر مستبعد ولا مستحيل، طالما أنه مرتبط بالمصالح أولاً وبالعلاقات الإقليمية البينية ثانياً، وفي ظل التغيرات الجديدة التي طرأت على المنطقة خاصة بعد وفاة الملك السعودي (عبد الله)، والتغيرات التي حدثت في سلوك النظام السعودي، وتبدل موقفها بشأن اليمن وقيادة (عاصفة الحزم) للتخلص من الحوثيين وتوجيه رسائل خاصة إلى من يدعمهم، وفي ظل الحديث عن تشكيل محور سني في المنطقة يتمتع بعلاقة جيدة مع كافة الأطراف بما في ذلك روسيا، فإن عودة العلاقات بين روسيا وحماس تدريجياً يصبح أمراً يلوح في الأفق، وهو ما يمكن فهمه من خلال التلميح الذي ألمح إليه القيادي بالحركة والوزير السابق د. باسم نعيم خلال المقابلة التي أجراها الباحثان معه بهذا الخصوص.

النتائج

من خلال ما سبق يمكن الخروج بالنتائج التالية:

1. أن العلاقة بين روسيا وحماس –فيما يتعلق بروسيا– جاءت في وقتٍ كانت روسيا تحاول فيه استعادة دورها ومكانتها على المستوى الدولي، ورغم تأخر الملف الشرق أوسطي على سلم ترتيب أولويات روسيا، إلا أنه يبقى مدخلاً مهماً لها نحو استعادة مكانتها السابقة والبروز على الساحة الدولية بشكل فاعل من جديد.
2. أن العلاقة بين روسيا وحماس –فيما يتعلق بحماس كحركة وليست كحكومة– جاءت في وقت كانت تبحث فيه حماس عن طوق نجاة بعد الحصار الذي فرض عليها بشكل خاص بعد فوزها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية مطلع عام 2006، فكانت بمثابة اختراقٍ وكسرٍ لجدار العزلة الدولية والدبلوماسية التي حاولت الولايات المتحدة – الخصم التاريخي لروسيا– فرضه على الحركة.
3. حاولت روسيا إيجاد علاقة مع حركة حماس بما تعبر عنه الحركة من بُعدٍ فلسطينيٍ وإسلاميٍ، يُحسن من جهة صورة روسيا عربياً وإسلامياً، خاصة بعد حربها في الشيشان، ومن جهة أخرى يدعم الاستقرار الداخلي لروسيا التي يعيش فيها أكثر من عشرين مليون مسلم.
4. لم تستطع روسيا استثمار العلاقة مع حركة حماس في إعادة ترتيب أوضاعها في المنطقة وتثبيت وجودها كقوة عظمى، إذ اقتصر دورها على محاولة إقناع حماس بالموافقة على شروط الرباعية من جهة، ودعوة المجتمع الدولي إلى ضرورة إشراك حماس في العملية السلمية في الشرق الأوسط بوصفها قوة لا يمكن تجاوزها بهذا الخصوص.
5. شاب العلاقة بين الطرفين الحذر ومزيد من الحذر وذلك لحسابات تتعلق بالمصالح الخاصة والعلاقات الإقليمية والدولية، دون حدوث اختراق مهم في تطوير العلاقة بين الطرفين لتكون علامة مميزة في فترة تاريخية مهمة فيما يتعلق بالشأن الفلسطيني.

6. ربح كلا الطرفين كان في سياق التعبير عن الذات، سواء لحماس أو موسكو، وذلك بالقول: أنه يمكن التغريد خارج السرب الذي تقوده أميركا وقد نجحتا في ذلك إلى حدٍ ما.
7. لعبت العلاقات الإقليمية لكلا الطرفين دوراً بارزاً في تحديد الإطار العام للعلاقة بين الطرفين، وحكمت أيضاً تطورات تلك العلاقة، وبدا ذلك واضحاً في التغيرات الإقليمية التي أعقبت ثورات ما سمي بالربيع العربي وتبدل المواقف خاصة فيما يتعلق بمواقف حماس من أحداث سوريا والعلاقة مع مصر.
8. بدا واضحاً أن إسرائيل كانت تنظر إلى تلك العلاقة ما بين روسيا وحماس بنوع من الريبة والحذر، خاصة في ظل العلاقات المتميزة بينها وبين روسيا، وإن التزمت إسرائيل في حينها عدم التعليق الرسمي على الموضوع.
9. ليس هناك ما يُشير إلى تطور العلاقات الروسية مع حركة حماس في المدى المنظور، خاصة في ظل سعي روسيا الدائم إلى المحافظة على العلاقة مع جميع الفرقاء في المنطقة بما يحقق مصالحها خاصة تلك المصالح التجارية المميزة مع (إسرائيل)، وإن كان أمر عودة العلاقات بين الطرفين ليس أمراً مستحيلاً أو عصياً على التحقق، خاصة مع وجود محاولات لعودة العلاقة إلى حالة الدفء مرة أخرى كما ألمح بعض قيادات الحركة.
10. يبدو واضحاً أيضاً أن تطور علاقة روسيا بحماس مستقبلاً سيكون مرتبطاً بدرجة عالية بمستوى علاقات روسيا مع إسرائيل من جهة، ومدى استجابتها للدوران في فلك الهيمنة الأمريكية من جهة أخرى، وفيما يتعلق بحماس فستلعب المحاور والأحلاف التي ستجد حماس نفسها مضطرة للدخول فيها –خاصة بعد أحداث اليمن والتغيرات الدراماتيكية في الخليج العربي– دوراً مهماً في تحديد علاقتها بروسيا الاتحادية في المدى المنظور.

وحدة الدراسات السياسية
معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية
غزة - فلسطين